« هدفنا ان نجعل من الفن خادما للانسان، كوسيلة للكفاح ، لا ان نجعل من الانسان خادما للفن ، كوسيلة للهرب » (١٣) ٠

واذا كانت رجال في الشمس ، قد تقدمت جزئيا ، على المنحى الرومانطيقي في فلسفة الموت عند غسان ، في اعماله الاسبق ، فانها لم تكن ، كما يفترض منحى التطور، مقدمة لسريالية جديدة (١٤) ٠

ولكن هذا الشرخ له دلالته بالتأكيد ٠

فهو اولا تعبير صارخ ، على ان فهم غسان الايدولجي والسياسي ، لم يكن منسقا في ارتقائه وتطوره ، فتأرجح بين الصعود والهبوط ٠ ولم تتطرق الدكتورة رضوي عاشور من قريب او بعيد الى هذه المسألة ، واكتفت بمناقشة الشكل الفني الجديد ، من خلال اصوله المقتبسة، ومدى قدرته على الايصال ٠

لقد قال غسان في مقابلة اذاعية عن القفزة في الشكل الجديد ، واثار تساؤلا لمن يكتب ٠ ولم يتحدث عن الصخب والعنف للكاتب الاميركي ويليام فوكنر ٠ وهذه الاستعارة تطرح التساؤل مجددا :

لماذا استعار غسان هذا الشكل من ويليام فوكنر للتعبير عن القضية ؟!

وهل وفق هذا الشكل ام فشل ؟!

والاجابة قديمة ، قدم صدور الرواية ٠ فقد فشلت في الوصول « الى المصير الجماعي ، اي مصير القضية ككل » ٠ وفقد الانتقال اللاواعي مبرره «بوجود شخصيات طبيعية لا تعاني من مرض ما في نظرتها للاشياء من حولها ، وان كانت متعلقة بعبء العار الذي تحمله (١٥) ، فبنجي احد ابطال الصخب والعنف ، انسان معتوه ، ونظرته مضطربة نظرا لوضعه هذا ، « بينما شخصيات غسان الخمسة العادية تتجمع في بطل واحد هو الكاتب ايضا » (١٦) ٠ بينما يرى الياس خوري، جميع الشخصيات في بطل واحد ايضا ولكنه « الموت » (١٧) ٠ ولان الموت كان « قريبا باستمرار ، يعيشه ، يكتب عنه ٠٠ واخيرا يمارسه » (١٨) ، فلا فرق بين استخلاص الياس خوري واستخلاص عرودكي ٠ واكتفت يمنى العيد بتسميته «قلق ومسحة مرارة » (١٩) ٠

وقد اصابت الناقدة رضوى عاشور عندما سمت انجاز ما تبقى لكم « انجازا شكليا في الاساس » ٠

« عن الرجال والبنادق »

مهد غسان كنفاني في قصته القصيرة « العروس » (عالم ليس لنا) الى ظهور البندقية ، كشكل جديد من التعاطي مع الذاكرة الفلسطينية ، فهي جزء من لحمة الحاضر النضالي ، ومادة متواصلة مع التراث ٠ وفي بحثه عن الرجل الطويل جدا والصلب جدا (الصورة الرومانسية للفدائي عند الانطلاقة) ، يشرك كل الناس في هذه المحاولة ، فيصير البحث عن (بندقيته)مهمة فلسطينية شاملة ٠ فالمبلغ المخصص لصداق العروس ، يشتري به بندقية عتيقة : « ابحث معي عنه ، حيث انت ، فلدي اخبار جديدة عن العروس » ، مما اعطى القصة طابع البشارة المفرحة في مسار غسان القاتم والحزين ٠

وعلى كتف العروس ، سار غسان الى مجموعة « عن الرجال والبنادق ، حيث نجد ان « اكتشاف الهوية الفلسطينية مرادف لشيئين اساسيين : الارتباط بالارض وحمل السلاح » (٢٠) ٠

وقدمت الدكتورة رضوى عاشور ،صورة دقيقة لمضامين اللوحات التسع التي تتضمنها المجموعة ، فترى ان « ارتباط منصور بالارض من ناحية وولعه بالبندقية